قصَّة نوح

obeikandl.com

obeikandl.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ

حينما خلق الله آدم نبياً، بعث بعده عدداً كبيراً من الأنبياء لهداية الناس إلى عبادة الله الواحد. ومن هؤلاء نوح الذي أرسله لهداية قومه، وهو أول نبيٍّ من أولي العزم[1].

وذكر نوح في القرآن الكريم في مواضع عِدَّة. وسُمِّيت سورة كاملة باسمه تتعرض بالتفصيل لقصته مع قومه.

وكان قوم نوح أهل أوثان يعبدونها من دون الله، وذكر القرآن الكريم أسماء بعضها:

وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق ونسراً.

ويُرْوَى في تحوُّلِهِمْ آلهة، أنها كانت تماثيل لرجال صالحين جعلها قومهم وسيلة للتَّأسي بهم. فلما مات الأوَّلون، نشأت طائفة لا علم لها بأمرهم، فاتَّخَذَتْهُمْ آلهة وعبدتهم من دون الله.

---

(1) أولي العزم خمسة: نبينا محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ذكرهم الله مجتمعين في سورة الأحزاب، الآية 7 في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾. وفي سورة الشورى، الآية 13 في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾.

ونشأ نوح بين قومه نشأة صالحة، فكان لين الخلق، صبوراً، أميناً، صالحاً، صادقاً، ويغار على مصلحة الآخرين .

ومكث في قومه ما شاء الله له ذلك، إلى أن أتاه الوحي من الله، برسالة إلى قومه، يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان باليوم الآخر، وينهاهم عن عبادة الأصنام. وكانوا متمسِّكين بها حريصين عليها.

فهل استمعوا لنصحه؟ أم ماذا؟

أصرُّوا على عبادة الأصنام ونهوا الناس عن سماع دعوته وقالوا لهم: «لا تتركوا آلهتكم الخمسة التي تعبدونها: وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق ونسراً». وزادوا في ضلالهم ضلالاً سجَّله الوحي الإلٰهي قرآناً يتلى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23].

وبدأ الحوار بين نوح وبين قومه. هم يريدون تحويله عن دعوته، وهو يريد هدايتهم. وكان الضغط عليه كبيراً.

فهل استسلم؟ أم ماذا فعل؟

لم يستسلم لأمرهم، بل تابع الدعوة إلى الله بيقين الذي عرف الله، وأدرك عظمته، وأحبَّه حُبَّ المؤمن لمن آمن به. حبًّا ملك عليه نفسه، وجعله قادراً على تحمُّل الصعاب في سبيل أداء ما كلفه الله به. ذلك أن الله وعد المؤمنين بعيش كريم في الدنيا وثواب عظيم في الآخرة: جنَّات تجري من تحتها الأنهار، لهم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذُّ الأعين.

أما الكافرون فلهم الخزي في الدنيا، ولهم في الآخرة النار وبئس المصير.

والله تبارك وتعالى إذا أرسل رسولاً غرس في قلبه حبَّ قومه،

والشفقة عليهم، ليبالغ في نصحهم ويُخلص في تخليصهم من الباطل. من هنا أراد نوح أن يبيِّن لقومه حال المؤمنين بالله، وحال الكافرين به. فدعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأقام لهم البراهين العقليَّة ليلزمهم بصحَّة دعوته، ويقنعهم بأن ما هم عليه باطل لا أساس له. فأمرهم بالنظر في هذا الكون الفسيح، والتأمُّل فيه فإن المتأمِّلين في خَلْقِ الله يعرفون الخالق ويعظِّمونه.

ولفت نظرهم إلى أن في أنفسهم دليلاً على وجود الله. ذلك أنهم خُلِقُوا خَلْقًا كاملاً، وهم مفتقرون في وجودهم وبقائهم إلى من يمنحهم القدرة. فأثبت لهم بالدليل الحِسِّي وجود الله ووحدانيته، واستحقاقه لصفات الجلال والجمال. فثبت بهذا أنهم على باطل وأنه على الحقِّ. وقال تعالى مخبراً عن حال نبيِّه مع قومه في القرآن الكريم: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾[1] [نوح: 13-14].

ولفت نظرهم إلى عظمة الخالق التي ظهرت في خلق السماء، وما خلق فيها من: الشمس، والقمر، والنجوم. التي تفيد الإنسان في ليله ونهاره. فتضيء له الظلام وتحدِّد المعالم التي يهتدي بها وتدلُّه على خالقها: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: 15-16].

ثم عاد ليقيم الدليل الحِسِّي من الإنسان نفسه ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: 17-18]. فقاس الإعادة على البدء. فكما قَدَرَ على الخَلق من تراب، يقدر أن يعيد التراب إنساناً.

---

(1) أطواراً: أي نطفة، فعلقة فمضغة، فجنيناً، فطفلاً، ففتًى، فشاباً، فكهلاً، فشيخاً.

ثم لفت نظرهم إلى دليل من الطبيعة القريبة ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: 19 - 20]. فالله خلق الأرض مهيَّأة ليعيش عليها الإنسان براحة تامة لا يضايقه شيء. ووضع لها المعالم التي يعرف بها الإنسان مكانه الذي يعيش فيه، والمقصد الذي يسير إليه.

ومع كل هذه البراهين التي أتى بها نوح لقومه، كان يذكِّرهم بأنه مرسل من عند الله، لهدايتهم ولينذرهم بأن القيامة آتية، ليُحَاسَب الناس على أعمالهم. وأن من صفات الله الرحمة. فالله رحيم يُحِبّ عباده المؤمنين فيغفر لهم ذنوبهم، ويمطر لهم السماء لتنبت الأرض ويأكلوا من خيراتها. فيتمتعوا ساعتئذٍ بالعيش الرغيد، ويرزقهم المال الوفير ويرزقهم الأولاد وهم زينة الحياة الدنيا.

فإن كان هذا الأجر في الحياة الدنيا، فإنه لم ينته عند هذا الحد؛ بل إن الله يعطي المؤمنين في الآخرة جزيل الثواب، بأن يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

ومع كل هذه المتاعب التي لاقاها من قومه، كان يريد أن يأتيهم بالبيِّنة ويشرح لهم أن كل ما يفعله معهم، لم يرد عليه أجراً: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ [هود: 29].

وبالإضافة إلى كل ما شرحه لهم من بينات عن صحة دعواه، كان يقول لهم: إنهم إن لم يؤمنوا يخاف عليهم من عذاب الله.

بعد كل ذلك، هل استجاب قومه؟

لم يستجب له قومه وبَقَوْا على كفرهم، بعد أن عمل المستحيل معهم، وتحمَّل الصِّعاب في سبيل الدعوة إلى الله. فدعاهم بالليل والنهار، سرًّا وعلانية. وكلما دعاهم للهداية ليغفر الله لهم جعلوا

أصابعهم في آذانهم كي لا يسمعوا ما يقول. ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يغطُّون وجوههم بثيابهم كي لا يسمعوا كلامه ولا ينظروه.

فلما رأى صدهم أظهر شكواه لربه و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا[1] ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح: 5-12].

ولما لم يلتفتوا إليه ولم يسمعوا منه وأساؤوا إليه وآذوه وبالغوا في ذلك.

وبعد كل هذا الجهد والعناء من موقف نوح مع قومه، كانوا يزهدون من دعواه. ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32].

وبقي نوح يدعو قومه تسعمائة وخمسون عاماً: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14].

وسؤال يتبادر إلى ذهن الإنسان ألم يؤمن أحد مع نوح في هذه المدَّة الطويلة؟

والجواب: بلى، آمن مع نوح عدد من الناس، ولكن أكثرهم من الفقراء. وكان إيمان هؤلاء الفقراء، أحد الأسباب الذي منع الأغنياء من

(1) يُحْكَى في فضل الاستغفار أنَّ رجلاً من الصالحين جاءه رجل يشكو القحط فأمره بالاستغفار، وجاءه ثانٍ يشكو الفقر فأمره بالاستغفار، وجاءه ثالث يشكو قلّة الولد فأمره بالاستغفار، وكأنه فهم تلك الفوائد من الآية.

اتِّباع دعوة نوح، و﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾ [الشعراء: 111 - 115]. فكان الفقراء المحرومون أسرع إلى قبول دعوة نبيِّهم، إذ لا يوجد لهم مصالح وثروات ومناصب تلهيهم عن دعوة الحق، وتمنعهم من طاعة الله الذي خلق الناس جميعاً، وأمر بالحق والعدل.

أما المترفون فأصرُّوا على بقاء الأوضاع التي أكسبتهم المجد والشهرة والجاه، فتمسَّكوا بباطلهم حفاظاً على الضلال والغيِّ، ويحسبون أنهم مهتدون.

ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ بين المؤمنين الضعفاء مع نوح وبين المشركين من الأغنياء؛ بل إنَّ المشركين من قومه اشترطوا طرد المؤمنين الضعاف. ووجدوا في هذه الدعوة والذين اتَّبعوها خطراً عليهم. فهدَّدوا نوحاً بالقتل بأبشع طريقة، رجماً بالحجارة، إن لم ينته عن دعوته. و﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ[1]﴾ [الشعراء: 116].

فلم يخفه تهديدهم برجمه؛ بل ازداد قوة إلى قوته. ولم يثنه تهديدهم عن دعوته إلى الله إلَّا ثباتاً وقوة، لأن الله يحب الأقوياء من المؤمنين، حيث يشعر المتوكل على الله بقوة لا تقف أمامها كلُّ قوى الشرك والطُغيان.

وبعد هذه الدعوة الطويلة مع قومه التي امتدت عدة قرون نوجز حصيلتها بالتالي:

---

(1) المرجومين: المقتولين بالحجارة.

1 - كان نوح يدعو قومه وينذرهم ليلاً ونهاراً، سرًا وعلانية، فلا يرى منهم مجيباً.

2 - كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم، كي لا يسمعوا صوته وكلامه، ولم يكتفوا بذلك؛ بل كانوا يضعون ثيابهم على وجوههم كي لا ينظروه.

3 - كانوا يصرُّون على الكفر ويستكبرون عن قَبُول الإيمان؛ لأن الفقراء كانوا يؤمنون به فكيف يتساوون معهم في قَبُول النصيحة.

وبعد هذا الإصرار على الكفر من قوم نوح ومكثه معهم هذه المدَّة الطويلة من القرون، ولم يؤمن معه إلا القليل من الفقراء. شكا أمرَه إلى الله. فأوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك غيرُ من قد آمن وواساه فقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36]. وكان الجيل الثاني من أولاد قومه أشدُّ كفراً ممن سبقهم حتى بالغوا في أذيَّته وعلموا من آبائهم أنواعاً من البلاء يصبُّونها على نوح فآيس منهم ودعا عليهم ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا[1] ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: 26-27].

فاستجاب الله دعاءه. وأمره بصنع سفينة ينجو بها والمؤمنين من قومه. ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن

(1) ديّاراً: أي يا رب لا تبقي منهم أحداً.

﴿تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: 37-39].

ولما انتهى من صناعتها انتظر أمر ربه، وكانت العلامة لبدء الطوفان، أن الماء يفور في التنور[1]. وما إن فار التنور حتى حمل نوح من أمره الله بحمله في السفينة ممن آمن معه من المؤمنين، ومنهم أولاده: سام، وحام، ويافث ونساؤهم. ثم أدخل ما أمره الله به من أزواج الحيوانات اثنين من كل صنف مما يحتاج إليه، ومما يستطيع القبض عليه من الحيوانات. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: 40].

وتخلف عن نوح أحد أبنائه وكان كافراً، وقيل: إن اسمه يام. وبدأ هطول الأمطار الغزيرة حتى علا منسوب المياه، فشفق نوح على ابنه الكافر، وخاف عليه من الغرق المحتَّم إذا لم يركب السفينة، وناداه حتى اللحظة الأخيرة أن يركب معه.

ولكن الابن الكافر لم يستمع لنداء الأب له؛ بل قال: سأذهب إلى جبل مرتفع لن يصله الماء.

حينئذ قال له أبوه نوح ما معناه: يا بني، اليوم يغرق كل الكافرين، ليتك تؤمن وتركب معنا في السفينة وتكون من الناجين، لأن من لا يركب السفينة سيغرق مع الكافرين.

فلم يسمع الابن نداء أبيه له. وفَرَّقَ الموج العالي من الماء ما كان بين نوح وبين ولده الكافر، فكان من المغرقين.

---

(1) التَّنُّور: مكان النار الذي كان يستعمل لخبز العجين قديماً.

وسُجِّلَ هذا الحوار بين نوح وبين ابنه الكافر قرآناً يُتلى، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: 42 - 43].

وتوجَّه نوح إلى الله يشكو إليه أمره فقال: إن ابني من أهلي. فأوحى الله لنبيِّه أن هذا الابن كان من الكافرين فلا يجوز أن تعدَّه من أهلك؛ بل إنَّ أهلك هم المؤمنون من أولادك.

وأوحى له أن لا تكلِّمني بشأنه. فاستغفر نوح ما كان من أمره بشأن ابنه. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى[1] وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ[2] إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ[3] فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: 45 - 47].

وامتثل نوح لأمر الله تعالى وتبرَّأ من ابنه الكافر، كما تبرَّأ قبل هذا من امرأته التي كانت من الكافرين، والتي كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه، وتخبر أنه مجنون فكانت أيضاً من المغرقين.

وانطلقت السفينة تسير بالمؤمنين بإذن ربِّها في موجٍ عالٍ كالجبال

(1) من أهلي: أي من نسبي.
(2) إنه ليس من أهلك: أي ليس من المؤمنين الناجين.
(3) إنه عمل غير صالح: لأنه مخالف للشرع الذي أمر بتبليغه نبيُّ الزمان.

حتى غطَّت المياه الأرض والجبال، وغرق الكافرون، ولم يبق شيء حتى الحيوانات الموجودة على الأرض.

بعد ذلك أمر الله الأرض أن تبلع الماء، وأمر السماء أن تتوقَّف عن المطر، وأشرقت الشمس، ورست السفينة على جبل الجوديّ[1]. ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 44].

وبعد أن رست السفينة خرج نوح بمن معه من المؤمنين وانتشر في الأرض وكذلك الحيوانات. ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [هود: 48]. وتكاثر الناس في الأرض من ذريَّة نوح فيما بعد وكانت منهم الأمم. فكان ابنه سام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك، ويأجوج ومأجوج والفرنج والقبط من ولد قوط بن حام.

وقال ابن عباس: إن نوحاً عاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثر الناس وفشوا.

وبالنسبة للسفينة فقد بقيت عبرة لمن جاء بعد نوح من الأجيال حتى لا يكفروا بالله سبحانه وتعالى ولا بدعوة رسله إذا جاءتهم: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ[2]﴾ [القمر: 15].

(1) قيل: إن الجوديّ مكان بنواحي الموصل من بلاد العراق. والله أعلم.
(2) مدكر: متعظ.

العِبَرُ من قصة نوح:

يؤخذ من قصَّة نوح عدَّة عِبَرٍ منها:

1 - الصبر في الدعوة والتحمُّل في سبيل الله.

2 - التأسِّي بطول بال نوح واستعداده لتحمل كل ما يصيب في سبيل الله.

3 - تعلُّم الناس صناعة السفن بعد أن علَّم الله نوح صناعة السفينة التي حملت المؤمنين ثم طوَّروها مع الأيام.

4 - إن الله يستجيب لدعاء الرسل والمؤمنين.

5 - أسباب هلاك قوم نوح يعود إلى عدة أمور منها:

أ - الشرك بالله والكفر به وعبادة الأصنام.

ب - عدم التقوى والاستغفار والطاعة لله.

ت - تكذيب الرسول والسُّخرية منه، ومعصيته وتهديده بالرجم.

ث - التكذيب باليوم الآخر لقوله سبحانه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55].

ج - الطغيان والاستكبار والفسوق وفعل السيئات، واتِّباع الآباء وإن كانوا على غير هدى، والإعراض عن دعوة الحق.

obeikandl.com